

الحلقة السابعة

سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟

أنوار كاشفة

أنا هو خبز الحياة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد بدأنا قبل عدة لقاءات بالتأمل في تصريح المسيح عند إقامته من الموت للعازر أنه هو القيامة والحياة. وكذلك تصريحه بعد شفائه للرجل المقعد أن الله الأب قد أعطاه السلطان لكي يقيم الأموات ويدينهم. ثم تأملنا بحادثة عدم إدانة المسيح للمرأة الزانية، وتصريحه: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة.

وفي اللقاء السابق تحدثنا عن عجيبة إعادة المسيح البصر للرجل الذي ولد أعمى. وهذا ما أثار دهشة واستغراب الجميع، وحرك الفريسيين من رجال الدين اليهود لكي يطردهم الرجل الذي شفي خارج المجمع. لكن المسيح لاقاه وشجّعه، وأعلن له حقيقة شخصيته، فأمن الرجل بالمسيح كابن لله وسجد له.

سنأمل في لقاء اليوم بأعجوبة أخرى قام بها المخلص المسيح، وما تكشفه عن حقيقة شخصيته. فبينما كان المسيح مرة قرب بحيرة طبرية والجموع تتبعه، صعد إلى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه. وإذ رأى المسيح جمعا كبيرا قادما نحوه، قال لتلميذه فيلبس: من أين تشتري خبزا لنطعم هؤلاء كلهم؟ سأل المسيح هذا ليمتحنه، لأنه كان يعرف ما سيفعله. فأجابه فيلبس: حتى لو اشترينا خبزا بمئتي دينار، لما كان يكفي ليحصل الواحد منهم على كسرة صغيرة. فقال له أحد التلاميذ اندراوس أخو سمعان بطرس: هنا ولد معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان صغيرتان. ولكن ما هذه لمثل هذا الجمع الكبير؟ فقال يسوع المسيح: أجلسوهم. وكان عدد الرجال منهم نحو خمسة آلاف.

فاخذ المسيح الأرغفة وشكر، ثم وزّع منها على الجالسين، بقدر ما أرادوا. وكذلك فعل بالسمكتين. فلما شبعوا، قال لتلاميذه: اجمعوا كسر الخبز التي فضلت لكي لا يضيع شيء. فجمعوها، وملأوا اثنتي عشرة قفّة من كسر الخبز الفاضلة. فلما رأى الناس هذه العجيبة التي صنعها المسيح قالوا: حقا، هذا هو النبي الآتي إلى العالم. وعلم يسوع المسيح أنهم على وشك أن يختطفوه ليقيموه ملكا، فعاد إلى الجبل وحده. (راجع بشارة يوحنا ٦: ١-١٥)

حقاً، كانت هذه من عجائب المسيح الباهرة، إذ أطعم الآلاف من خمسة أرغفة شعير وسمكتين، وفضل عنهم الكثير من كسر الخبز. فمن هو هذا يسوع المسيح الذي استطاع أن يقوم بمثل هذه الأعجوبة المدهشة؟ لقد قالت الجموع عنه: هذا هو النبي الآتي إلى العالم، وأرادوا أن يعلنوه ملكاً. أي عرفوا أنه هو المسيح المنتظر الذي تتبأ عن مجيئه الأنبياء منذ القديم، والذي وعد الله بقدومه، ولهذا أرادوا أن يقيموه ملكاً عليهم. لعل السؤال الآن لماذا رفض المسيح أن ينصبونه ملكاً؟ أو ليس هو حقا الملك الموعود به؟

للإجابة نقول: صحيح أن المسيح هو الملك الموعود به. لكن لم يكن هدفه من مجيئه أن يكون ملكاً أرضياً. لقد ظن اليهود خطأ أن المسيح سيأتي ويحررهم من الأعداء، ويملك عليهم ويجعلهم أمة قوية. لكن هدف الله منذ الأزل كان، أن يرسل المسيح ليحرر الناس من عبودية الخطية، وليملك على قلوبهم ملكاً روحياً. لهذا نجد المسيح يعلن عند بدء كرازته قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. أي اقترب الزمن الذي سنتم فيه مواعيد الله منذ القديم، ويُعلن فيه ملكوت الله. ملكوت الله الذي سيملك فيه الملك المسيح على قلوب البشر. لهذا لم يكن غريباً إذن أن يرفض المسيح تنصيبه ملكاً أرضياً، لأن هدفه كان أعمق من ذلك بكثير. ألا وهو أن يحرر الإنسان من عبودية الخطية، ويخلقه خليفة روحية جديدة، أي أن يقيم ملكوت الله الروحي.

يخبرنا الإنجيل المقدس أنه في اليوم التالي من عجيبة إطعام المسيح للجموع، وعندما لم تجد الجموع لا المسيح ولا تلاميذه، قرب المكان الذي جرت فيه الأعجوبة، ركبوا السفن باحثين عن المسيح. فجاءوا إلى كفرناحوم، وعندما وجدوا المسيح على الضفة المقابلة من بحيرة طبريا، قالوا له: يا معلم متى وصلت إلى هنا؟ أجابهم المسيح: الحق الحق أقول لكم، أنتم تبحثون عني لا لأنكم رأيتم الآيات، بل لأنكم أكلتم وشبعتم من تلك الأرغفة. ثم أضاف المسيح قائلاً: لا تسعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام الباقي إلى الحياة الأبدية. والذي يعطيكم إياه ابن الإنسان. لأن هذا الطعام قد وضع الله الآب ختمه عليه. ألا وهو الطعام الروحي الحقيقي. وعندما سألوه ماذا نعمل لنعمل ما يطلبه الله منّا؟ أجابهم المسيح: أن تؤمنوا بمن أرسله. فقالوا له: ما هي العجيبة التي تعملها لنراها ونؤمن بك؟ لقد أكل آباؤنا المن في البرية، إذ أعطاهم الله من السماء الخبز لكي يأكلوا. (راجع بشارة يوحنا ٦: ٢٤-٣١)

يبدو غريباً حقاً أن يطلب هؤلاء الناس من المسيح أن يُجري أعجوبة، وهو الذي أطعمهم بأعجوبة في اليوم السابق. ويبدو أنهم ظنوا أن المسيح سيطعمهم دائماً، كما أطعم الله قديماً بني إسرائيل من المن في البرية. لكن المسيح أجابهم قائلاً: " الحق الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء. لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم." (بشارة يوحنا ٦: ٣٢ و٣٣) قصد المسيح القول، أنه كما أعطى الله الآب قديماً من السماء المن أي الخبز، فهو

يعطي الآن خبز السماء الحقيقي الذي نزل من السماء. وهذا الخبز بالطبع هو المسيح كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي يهب الحياة للعالم.

لكن الغريب أن الجموع لم تفهم ما قصده المسيح، وظلت تفكر بالمفهوم الجسدي المادي. إذ قالوا للمسيح: " يا سيّد أعطنا في كل حين هذا الخبز." فهم ما زالوا يظنون أن المسيح سيطعمهم دائماً من الخبز ، لئيشبعوا أجسادهم. فبماذا أجاوبهم المسيح؟ قال لهم: " أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً. ولكني قلت لكم إنكم رأيتموني ولستم تؤمنون. كل ما يعطيني الآب فإليّ يقبل ومن يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً." (بشارة يوحنا ٦: ٣٤-٣٧)

هذه هي الحقيقة الهامة التي أعلنها المسيح في تصريحه هنا: أنا هو خبز الحياة. أنا هو الخبز الحقيقي لكل نفس إنسان متعب وخاطئ، ويبحث عن الشبع الروحي الحقيقي. أنا هو الخبز الذي يُشبع نفس الإنسان من الداخل. لقد كان هدف الله من إرساله المن قديماً، هو إطعام بني إسرائيل لكي لا يموتوا من الجوع في البرية. بينما كان هدف الله الآب من إرساله المسيح إلى عالمنا، هو أن يُشبع نفوسنا نحن البشر الخاطئة من خبز الحياة الحقيقي، ولكي يحيي نفوسنا، ولا نموت إلى الأبد. إن المسيح إذن هو خبز الحياة الذي أرسله الله من السماء. فالمسيح هو كلمة الله الأزلي الذي كان عند الله الآب، ثم تجسّد وصار إنساناً. أما الهدف فهو لكي يُطعم نفوسنا الجائعة الخاوية، والتي أنهكتها الخطايا والذنوب.

لعل السؤال الآن كيف بإمكان الإنسان الحصول على هذا الخبز السماوي العجيب؟ والجواب: عن طريق الإيمان، الإيمان بهذا الشخص الفريد العجيب، وبعمله الكفاري على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات. ولهذا قال المسيح: من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً. أي على كل إنسان أن يأتي إلى المسيح المخلص بثقة كاملة، وإيمان أكيد، وعندها يُشبع نفسه الجائعة ويروي ظمأه.

ألا تود مستمعي أن تأكل من هذا الخبز السماوي الحقيقي؟ لم لا تأتي اليوم مؤمناً بهذا الشخص الفريد العجيب كلمة الله الأزلي، فتجد عنده التحرير الكامل والغفران الأكيد، وتنال الشبع والارتواء الحقيقيين إلى الأبد.